

# أغوار الجبال

بقلم: عبدالحفيظ الشمري  
رسوم: سليمان جوه

أنا أحمد وقد استمتعتم أو قرأتم قصتي السابقة مع الصحراء، ها أنا الآن الجاذب وإياكم أخبار جزء آخر من الطبيعة في بلادنا ألا وهي (الجبال). لقد سرت إليها بعد أن رجوت أبي أن يصطحبني إلى تلك الجبال القصية والعالية في الطرف الغربي من مدينتنا.



وافق أبي قائلاً:

- لم تعد يا أحمد صغيراً يجب أن تشاهد الطبيعة وتأمل ما تحتويه من مكونات ومخلوقات.  
فرحت بمقولة أبي. وفي صباح الغد سرنا على الطريق الأسفلتي.. لم يرافقنا هذه المرة صديقه. إنما أنا وأبي فقط من قررنا السير إلى أعماق الجبال النائية.  
في الطريق الذي يلتوي بين الجبال العالية قال أبي:  
- يا أحمد هذه الجبال والصخور تخبئ خلفها وبينها أنواعا كثيرة من الحياة الفطرية. فالجبال تختزن في ذاتها الأسرار. وفي المغاور التي تفتح أفواهها منذ القدم ستجد حكاية التاريخ ماثلة للعيان.



أضاف وهو يردد (سبحان الله لم يذكر أن أطبقت هذه الكهوف أفواهها إلا مرة واحدة حينما ضمت أصحاب الكهف الأخيار الذين ورد ذكرهم في القرآن الكريم.  
سألني أبي وكأنه يريد أن يختبرني ..  
- أتذكر سيرتهم يا أحمد؟



العدد (٢٣٠) ربيع الأول ١٤٣١ هـ

١٦



أجبت بكل ثقة:  
- نعم يا أبي أذكرهم جيداً  
أضاف أبي:

وقد جاءت هذه المغاور والكهوف أيضاً بخير البشرية حينما خبأ (غار ثور) قرب مكة في جوفه نبينا محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة والسلام. وصاحبه أبابكر رضي الله عنه عن أعين المشركين.



بعد مسافة طويلة من السير بين الجبال أوقف أبي السيارة لنترجل منها. ونسير معا صوب عمق الجبل. لأحمل الماء والقليل من الطعام. فيما حمل أبي بندقيته وزواد الصيد والمنظار المقرب.  
كنت خائفاً من أن ألح المغارة التي توقفنا عندها. ولكن أبي شجعني:  
- لا عليك يا أحمد.. أذكر الله و أدخل..  
حينما قال لي أذكر الله فعلت ذلك. فزالت الرهبة ودخلت خلفه.  
تعجبت من تلك المغارة حيث تشاهدون النقوش التي كتبت على جدرانها منذ مئات بل آلاف السنين. وفي أرضيتها ترى الرماد وتشعر بالهواء البارد الذي يتسلل إليك من أعماقها رغم أننا في منتصف فصل الصيف.

قال أبي:

- يا أحمد هذه النقوش موجودة منذ مئات السنين..  
وأضاف أبي مردفاً:  
للكهوف أسرار كثيرة.. يقال إنها تخبئ الكثير من الحكايات الشيقة. والقصص المؤثرة. وأحياناً الخيالية.. تلك التي يذكر فيها أنها تخزن في جوفها الكثير من الذهب والكنوز. وذاك حولها الكثير من الأساطير التي قد لا تصدق.  
جلسنا في جوف المغارة. وما هي إلا برهة ويلج علينا فجأة رجل بهيئة غريبة.. ممزق الثياب حافي القدمين.



١٧

العدد (٢٣٠) ربيع الأول ١٤٣١ هـ

حينما لمح أبي أنني خفت من هيئة الرجل قال:  
- لا تخف يا أحمد.. هذا العم (عبدالله الجبلي)  
رجل طيب يعيش في كهف مجاور. فهو يستلذ بالإقامة في هذه  
الكهوف.

وليؤكد لي انه إنسان مسالم وطيب قال:  
- إنني أعرفه يا أحمد.. سيروي لنا (العم) قصصا شيقة.  
لم يتم أبي جملته إلا والرجل الجبلي يتحدث بأخبار كثيرة بعضها يصدق  
وبعضها الآخر يجب أن نعمل العقل فيه



لنميز هل هو حقيقة أم محض خيال. على نحو ما ذكره  
عن مخلوقات الهويلا والدفيعاء. وحمار القايلة. وتريتراء  
وأبوآذان والهديدب. وجميعها قال عنها أبي: إنها مجرد  
حكايات وأساطير للتسلية فقط.

جاذب أبي معه أطراف الحديث حول إقامته داخل الجبل. وما  
كان من الرجل إلا أن نصحن بأن نكون أوفياء للأرض والجبال.  
وأن نحافظ على البيئة وألا نجور أو نفرط في صيد الحيوانات  
والطيور التي تعيش في الجبال.

رد أبي على الرجل بود:

- كلام مهم يا عم عبدالله.. لا تقلق ولك أن تفخر بنا.  
فنحن نحب الجبال. وتشدنا الطبيعة. ونسعد بالتجول  
فيها وسنحافظ على وجودها بإذن الله.

دعونا للغداء فوافق على أن ننتظر ليصطاد لنا بعض الطيور  
لنعدها طعاما لنا. مؤكدا أنه لن يكون جائرا في الصيد. فما  
هي إلا ساعة. أو تزيد قليلا إلا وقد عاد الرجل إلينا حاملا بعض  
الطيور التي اصطادها ببندقيته.

قمنا بشواتها. وجهيزها مع طعام الغداء الذي تناولناه  
جميعا. بعد أن أدينا صلاة الظهر. فكان الغداء لذيذا مع لحم  
الطيور التي اصطادها الرجل الجبلي.

قال العم عبدالله بعد أن فرغنا من الطعام:

بارك الله فيكما.. فكم نحن بحاجة إلى هذه الحياة التي  
ترونها الآن وأضاف بمودة:

يجب أن تبيتا لدي هذه الليلة.

خفت من فكرة المبيت داخل المغارة. أو قريبا. ليقطع أبي  
تفكيري معتذرا. ومعللا الأمر بكثرة المشاغل التي تنتظره في

المدينة. حيث يتحتم علينا العودة قبل الغروب.

شكرناه ورد بمثلها وهو يلوح لنا بتحية الوداع.



الرجل  
الجبلي